المرأة والرجل وهل يتساويان ؟

سألنا هارتيون افندي مراديان احد ادباء بغداد عما يقوله العلماء المحققون عن الفرق بين عقل الرجل وعقل المرأة وهل يتساويان فرأينا ان ننشر خطاباً للدكتور شبلي افندي شميل في هذا الموضوع كجواب لسؤاله قال :

المرأة والرجل وهل يتساويان

مسألة كثيرة تحدث الخاصة بها وذهبوا فيها رأيين متضادين . وطالب القائل بتساويهما بحقوق المرأة المرتبة على هذا التساوي والتي اهتضمها الرجل في زعمه من قانون البشرية صلفاً وعتواً او كما تقول المرأة لانه هو الذي سن هذا القانون فآثر نفسه فيه استبداداً حتى انكر عليها النفس التي يفتخر بها على سائر المخلوقات . وانكر هذا الحق من ذهب ضد مذهبه ونسب دعواه الى غيرة اعماها الهوى ورأي اضله الوهم . ولقد تحمد المتباحثون في المسألة قرائح امضى من الفواضب وجردوا السنة احدّ من الاسنة ويروا لها افلاماً اقوم من قدود الهيف اذا اختلت سحر الفتنا . وطعنوا بها طعنات اوقع من لحاظين اذا رنت سهامها في القلوب . وتجاروا في مضارها تجاري خيل العراد في يوم الوغى . فمن آخذ بناصر المرأة ارتفع بها الى اوج البشرية وقال ما هي بشر ان هي الا ملك كريم ومن متحامل عليها انحط بها الى حضيض البهيمية وقال ان هي الا متاع خلق للرجل وليست بشراً سوياً . وكلاهما تجاذب في القول طرفي الافراط والتفريط وادعى نصر الحق وما اتبع في نصره الا الهوى

ولم يفت نبهاء قومنا جولة في حومة هذا المجال فقد سمعتموهم في هذه الجمعية يثبا. ثون ويتناظرون مستمطرين دراري المعاني من سماء الالفاظ حتى كدن يلقطن باليد . وشهدتم مواقع نزالهم في حلبة المقتطف الاغر وغيره من الجرائد الوطنية ورأيتم كيف ان هذه الحرب قد اتقدت نارها في قلوبهم وحمي أوارها في رؤوسهم ونعم المرام . الا انه لا يؤاخذني كماة هذه الحرب وفرسانها اذا قلت انهم جالوا بنا الى غير محسم نزاع ووقفوا بنا على غير موقف هدى حتى تخيل للقارئ وللسامع ان المسألة ككثير من المسائل الخلافية سلسلة لا تنتهي حلقاتها ودور لا يعرف طرفاه وما ذلك في اعتقادي الا لانهم ولجوها من غير بابها ولذلك رأيت ان اقربها من الباب الذي يدخل منه وانخمها من الوجه الذي يختلف اليه

ذهبت طائفة من اهل النظر الى ان المرأة مساوية للرجل في العقل . وفي اعتقادنا ان المبحث طبيعي محض اعني انه من مباحث علم الحيوان المعروف بالزوولوجيا او بالحري من

مباحث علم الانسان الذي هو فرع منه والمعروف بالانثروبولوجيا ولا يصح ان ينظر اليه من غير هذا الوجه او يقطع فيه حكم بدونه . والانثروبولوجيا لا كما يفهمه المتقدمون علم اقرب الى النظر والا اتسع بنا مجال القول وتهنا في فيافيه ووقعنا في بلبال لا يجمعنا فيه سوى فوضى الاختلاف وخرجنا منه كما خرجنا اليه . وربما تشعبت المسألة دوننا الى فروع كثيرة افضى بنا الولوج فيها الى الاعراض عنها والتوغل في امور جدلية لا طائل تحتها كما هو دأب الذين لا يستندون في بحثهم الى اساس متين مرشد ابرهان المستطلع كابح جماح المشط . ولكن كما يفهمه المتأخرون علم يبحث فيه عن الانسان من حيث كونه حيواناً وانساناً معاً في تركيبه وقواه وافعاله فساق الكلام على هذا المنهج يسهل علينا فهمه ويقينا فيه عثرة الشطط فلا نرتفع به محلقين الى « لا أوج » ولا نهبط به سافلين الى « لا قرار » بل نضعه في مقامه الطبيعي

واولاً ننظر اليه في الانواع اي انواع الحيوان المختلفة . فمن المعلوم لاهل النقد من علماء طبائع الحيوان ان الانثى اشد من الذكر في الحيوانات السافلة واضعف منه في الحيوانات العالية ومساوية له فيما كان بينهما وذلك قاعدة مطردة الا في ما ندر والنادر لا يعتد به . فانثى النحل والزنابير والفراش وكثير من الاسماك والحشرات اشد من الذكر وانثى الطير والحيوانات اللبونة وسائر ذوات الفقر العالية اضعف منه غالباً . ويستفاد من هذا ان امتياز الانثى على الذكر من صفات الحيوانات المنحطة في سلم النشوء وان امتياز الذكر عليها من صفات الحيوانات المرتقية . وسنبين اوجه الامتياز . وهنا الطريق وعر والمسلك صعب فأرجو منكم ان تتبعوني فيه متزودين جانباً من الصبر

ففي الطيور والحيوانات اللبونة التغذية اقوى في الذكر منها في الانثى والدم اشد وفيه من الكريات الحمر الصالحة للتغذية اكثر مما فيه ومن الكريات البيض القليلة الصلاحية لها اقل (كوبتكود وكرنيلوف) . وفي المليمتر المكعب من دم الرجل مليون من الكريات الحمر اكثر مما في دم المرأة (ملاسز)

والرجل يأكل اكثر من المرأة ولكنها انهم منه اسرع انها تشرو فيه اكثر منه . والتنفس اقوى في الذكر منه في الانثى واذا تساوى الرجل والمرأة في القد فتسع رئته من الهواء نحو نصف لتر اكثر من رئتها . وهو يتناول من الاكسيجين المطهر للدم اكثر منها وان كانت تتنفس اكثر منه وتزيده نفساً واحداً في الدقيقة من سن ١٥ الى سن ٥٠ (كواتلت) وهو يفرز من الحامض الكربونيك المتحصل من احتراق الانسجة اكثر منها في جميع

الاسنان (اندرال وعفرّت) . وحرارته اكثر من حرارتها وكذلك حرارة الديك بالنسبة الى الدجاجة

وقوّة ضغط الدم اعظم في الرجل منها في الانثى وانما نبضه ابطأ من نبضها والفرق من ١٠ الى ١٥ نبضة في الدقيقة بين الرجل والمرأة و ١٨ بين الاسد واللبوة و ١٠ نبضات بين الثور والبقرة و ١٢ نبضة بين الكبش والشاة

وعظام المرأة اخف من عظام الرجل . وفي عظامه من المواد الغرابية اكثر ومن المواد الحيوانية اقل ومن كربونات الكلس اكثر ومن فصفاته اقل مما في عظامها (ملن ادوار)

والرجل يستعمل يمناه اكثر من المرأة والمرأة تستعمل يسراها اكثر من الرجل (دلوني) . ومنكبها الايسر اعظم من الايمن بخلاف الرجل كما ان فروع البشر السفلى (هوتين وليفون) والترقوة بالنسبة الى العضد اطول فيها منها فيه (بروكا) كما انها اطول في السود منها في البيض

والذكر اعظم من الانثى كما هو معروف في الحيوانات الاهلية . والرجل يزيد المرأة اثني عشر سنتيمتراً طولاً (توبينار) وهي اخف منه وان ظهرت اسمن لتغلب الشحم فيها الذي يكسب بدنها استدارةً وهشاشة ويستر عضلها بخلاف الرجل فانه قليل الشحم نافر العضلات صلب البدن . وهي بارزة الفكين اكثر منه سيئ الشعوب الهند وجرمانية (توبينار) .

وقدم المرأة اكثر انبساطاً واقل تحدباً من قدم الرجل (دلوني) وذلك بدل على الانحطاط . وذوات الفتح والدلال يحاولن اخفاء ذلك بالاحذية المصنعة ذات الكعب المنطاول

وصوت المرأة أعلى من صوت الرجل . وكذلك اصوات اناث الحيوانات أعلى من اصوات ذكورها

وعضل الذكر اغلظ واشد من عضل الانثى كما في الحيوانات الوحشية والاهلية . وقوّة المرأة من سن ٢٥ الى ٣٠ مقاسة بالديناموميتر ثلثا قوة الرجل في هذا السن . وحركاته أضبط من حركاتها ولهذا يفوقها هو ولا تدركه هي في فني الموسيقى والتصوير

وجمجمة الرجل اكبر من جمجمة المرأة (بروكا والجمهور) وسعتها في الرجل الابيض ١٤٤٦ سنتيمتراً مكعباً وفي امرأته ١٢٢٦ (هشك) . والجمجمة اقل ارتفاعاً واطول في المرأة منها في الرجل (بروكا)

ودماغ الذكر اثقل من دماغ الانثى . فدماغ ذكر الكوريلا وهو نوع من القرود

يزن ٥٤٠ غراماً ودماغ انثاه ٤٧٠ ومعدل دماغ الرجل ١٣٢٣ غراماً والمرأة ١٢١٠ والفرق ١١٣ غراماً (بروكا) ولا يحمل هذا الفرق على صغر قد المرأة بالنسبة الى الرجل فان قامة المرأة بالنسبة الى الرجل هي كنسبة ٩٢٧ الى ١٠٠٠ واما وزن دماغها فهو كنسبة ٩٠٩ الى ١٠٠٠

و باجماع الانثرو بولوجيين مقدم الدماغ الذي هو مقرّ القوى العاقلة الرفيعة اصغر في المرأة منه في الرجل سواء هذّبا او كانا على الفطرة وهذا الفرق ٥٤ سنتيمتراً مكعباً راجحة من جانب الرجل (هشك) . ومؤخر الدماغ الذي فيه مركز العواطف اكبر في المرأة منه في الرجل ولهذا قيل ان المرأة تحيا بقلبها اي بعواطفها والرجل يحيا بعقله

ونصف دماغ المرأة الايمن اكبر من الايسر بخلاف الرجل وهذا يفهم منه لماذا المرأة تياسر اي تذهب ذات اليسار والرجل يياسر اي يذهب ذات اليمين وهذا ظاهر حتى في عرى ثيابهما وازرارها فان حركة التزرير في المرأة يسارية وفي الرجل يمينية كما يمكن تحققه من ارسال النظار اليهما . وهذا يدل على ان الاختلاف بين الرجل والمرأة من اصل الطبع . ودلوني اول من نبه النظر الى ذلك وقال ان حركة المرأة اليسارية او التقريبية كما يسميها ايضاً دليل على الانحطاط لانها تشاهد في الحيوانات كالقرود وفي فروع البشر السافلة وان حركة الرجل اليمينية او التبعيدية كما يقول ايضاً دليل على الارتقاء

فهذا نظر تشريحي وفزيولوجي يبين منه هذا الفرق بين الرجل والمرأة واما من الوجه الادبي فقد اختلفوا في هل المرأة انبل خلقاً من الرجل ام لا . وتوجد مؤلفات كثيرة في مدح المرأة وذمها وقد ذهب مؤلفون كثيرون الى ان المرأة انهم من الرجل واكسل واشبق وابخل واكثر عجباً وكبراً وحسداً واشد حنقاً وحقداً . وفي العصور الوسطى طرح احد المجامع هذه المسألة مطرح البحث وهي « هل للمرأة نفس » ولا نظن ان احتقار المرأة بلغ هذا القدر في عصر من العصور او عند شعب من الشعوب . وجميع الحكماء والفلاسفة المتقدمين كابقراط وارسطو على ان المرأة احط من الرجل . ويضيق بنا المقام عن استيفاء جميع ما قالوه في ذلك من مدح وذم وتسنيع وتشنيع . فنحن لذلك نغفل اقوالهم ونعتمد لحل المسألة على مباحث المتأخرين المبني اكثرها على علم مقابلة افعال الانسان المعروف عندهم بالدموغرافيا

البقية للحساء التالية

المجد الحقيقي يقوم بالاعمال الشريفة — شيشرون —